الطبيعة الأندلسية وأثرها في شعرية الرسائل الفنية((عصر الطوائف مثالاً))

الأستاذ الدكتور
علي محمد حسين الخالدي
المدرس المساعد
حيدر عبد الحسين مير زوين
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة

إنّ توافر عنصر الطبيعة في الأدب العربي لم يظهر بصحبة الفتح العربي في الأندلس ، بل هو قديم قدم الشعر العربي ، ففي الجاهلية ارتبطَ ارتباطاً وثيقاً بالبيئة البدوية التي اعتاد عليها الشاعر العربي حين يتصفح معالمها ، ويتنسم من عبقها ، ويتفاعل معها بحواسه وعقله ، ومشاعره ووجدانه .

والسمة الفنية التي يتحول فيها الكلام من واقعهِ الحقيقي (الواقع العام) إلى آخر غير حقيقي (الواقع الخاص) هو ما أطلق عليهِ الدارسون بـ(الشعرية) فهي سمة أو خصيصة علائقية تميز بين صنفين من النصوص أحدهما أدبي ، والآخر غير أدبي ٠

وقد اعتمد البحث على جمعٍ من مصادر الأدب ، واللغة ، والتاريخ ، ، وقد قسّمَت الدراسة على مقدمةٍ ، و مدخلٍ ، ومبحثين ، وخاتمةٍ ، عُرضت فيها النتائج التي توصلنا إليها في أتون هذه الدراسة ، وقد درسنا في المدخل : الطبيعة في اللغةِ ، والاصطلاح ، في حين ضمّ المبحث الأول : الطبيعة الصامتة على اختلاف أنماطها ، أما المبحث الثاني ، فقد تطرقنا فيهِ إلى الطبيعة الصائتة ، وأثرها في شعرية الرسائل ، ونرجو أن نكون قد وفقنا لما فيهِ الفائدة ، ولسنا ندعي الكمال ، فالكمال للهِ تعالى فقط والحمد للهِ رب العالمين ، والصلاة ، والسلام على خير الأنام محمدٍ ، وعلى آلهِ ، وصحبهِ المنتجبين

المدخل /أ) الطبيعة في اللغة ، والاصطلاح :-

الطبيعة مؤنث معنوي ، وهي على زنة فعيلة ، وقد أشار اليها ابن منظور بقولهِ :- ((الطبْعُ والطَّبِيعةُ الخَليقةُ والسَّجيّةُ التي جُبِلَ عليها الإِنسان والطِّباعُ كالطَّبِيعةِ مُؤَنثة))(١)

ويذهب الخليل الى أنّ الطبيعة قد تأتي بمعنىً آخر ، وهو الغريزة ، ويستدل بقول العرب : ((غرزتْ الناقةُ غرازاً فهي غارز قليلةُ اللبنِ.))(٢) أما في الاصطلاح / فهي مجموعة العناصر الحية ، وغير الحية التي تحيط بالإنسان بما فيها الأشجار ، والتضاريس ، والحيوانات على اختلاف أنواعها (الأليفة ، والوحشية) (٣)، والسمة الرابطة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي هو أصل المادة ،وجوهرها التي أنشأت عليه

وقد تأثّرَ الأدباء في المشرق العربي منذ القِدَم بهذا العنصر الفعال ، وخير دليل على ذلك قول أمريء القيس الكندي من بحر الطويل ، وهو يصف فرسهُ :

دَريرٍ كَخُذْرُوفِ الوَلِيدِ أَمَرَّهُ تَتابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ وَساقَا نَعَامَةٍ وإِرْخَاءُ سِرْحانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ (٤)

ب) عصر الطوائف : لقد كان للبيئة الأثر الكبير في الأدب بشكل عام ، وهي من أبرز العوامل المؤثرة فيه ، والأديب ابن البيئة التي ترعرع فيها ، فكان من الطبيعي أن يستمد منها معانيه وألفاظه ، ويستنبط منها أفكاره ، ويتخذ منها تشبيهاته وأوصافه ؛ لذلك سعى هؤلاء إلى استلهام مفردات هذهِ الطبيعة بما تحملهُ من رموز ودلالات في أغراضهم الشعرية ، والنثرية.

وما نعنيه بعصر الطوائف :هو ذلكَ العصرُ الذي اشتمل على مجموعةٍ من الدويلات الأندلسية ، وقد استمر حكم دويلات الطوائف لأكثرَ من نصف قرن للمدة من (٤٢٢-٤٨٤هـ)(٥) ، ويعدُ فن الرسائل من الفنون الأدبية التي ظهرت مبكراً في الأندلس فمن الطبيعي أن يتأثر كتاب الأندلس بالطبيعة الزاهية لهذهِ الجزيرة ، والباحث حينما يريد أن يدرس الأثر الذي أحدثتهُ الطبيعة في هذا الفن فعليهِ أن يدرسهُ في خضم حقبةٍ زمنيةٍ خَصِبة ومليئة بالازدهار الأدبي ، وتتمثل بـ(عصر الطوائف) الذي يمتد من سنة (٤٢٢ - ٤٨٨ هـ) فضلاً عن تنوع الرسائل في هذا العصر بسبب التقسيم الذي طرأ على الأندلس في هذهِ الحقبة ، ومن الكتّاب الذين برزوا بشكل منقطع النظير في هذا العصر:-

ابن الحناط ت (٤٣٧) هـ .

ابن برد الأصغر ت (٤٤٠) هـ . .

ابن عبد البر القرطبي(٤٦٣هـ) .
أبو عمر الباجي ت(٤٧٤هـ) .
الأعلم الشمنتري(٤٧٦) (٦) .
أبو الوليد بن العثماني

وقد تنوعت أصناف الرسائل في هذا العصر بسبب : تنوع الأغراض ، والمناسبات المتعلقة بها ، ومنها :- الاجتماعية ، السياسية ، الاخوانيات ، ورسائل النقد الأدبي، ورسائل الطبيعة (٧) .

ت) شعرية الرسائل / وتتمحور شعرية الرسائل في : توافر عناصر الجمال الأدبي في النص النثري بحيث أنها تتواشج معاً لتبدو لوحةً فنيةً تدهش المتلقيَ من حيث تركز الاستعارات ، والمجازات ، والصور ، فضلاً عن المحسنات البديعية ، والخصائص الأسلوبية الأخرى (٨)

وقد شكلت الطبيعة الأندلسية محوراً مهماُ ، وفعالاً رفدت من خلاله الأدباء الأندلسيين بشتى مزايا الإبداع الفني (٩)، فضلاً عن ما تمتلكه دوحة الأندلس الغناء من عناصرَ خلابةٍ تزدان لها أفواه الأدباء فهي الأرض الخصبة التي ولجها هؤلاء ، فراحوا يعبرون بتقنيات جمالية عن ما يختلج في نفوسهم ، ويساور قرائحهم (١٠)، ويمكن أن نقسِم هذه الطبيعة على قسمين :

المبحث الأول

الطبيعة الصامتة (quiet nature)

وعمادها الجزئيات الثابتة ومن أبرزها النباتات التي كان لها أثرٌ كبيرٌ في انبعاث الطاقات الشعرية لكتاب الأندلس (١١) ومن الأمثلة على ذلك رسالة ابن برد الأصغر ت (٤٤٠) هـ إلى ابن جهور في تفضيل الورد على خمسة نواوير جاء فيها : ((هذا ما تحالفت عليه أصناف الشجر، وضروب الزهر، وسميها(١٢)وشتويها، وربيعها وقيظيها(١٣)، حيث ما نجمت من تلعة أو ربوة (١٤)، وتفتحت من قرارة (١٥)أو حديقة، عندما راجعت من بصائرها، وألهمت من رشادها، واعترفت بما سلف من هفواتها، وأعطت للورد قيادها، وملكته أمرها، وأخلصت له محبتها، وعرفت أنه أميرها المقدم بخصاله فيها، والمؤمر بسوابقه عليها، واعتقدت له السمع والطاعة والتزمت له

الرق والعبودية، وبرئت من كل نور نازعته نفسه المباهاة له، والانتزاء(١٦) عليه في كل وطن، ومع كل زمن، فأية زهرة قص عليها لسان الأيام هذا الحلف، فلتعرف أن رشادها فيه، وقوام أمرها به، ولتحمد الله كثيراً على ما هداها إليه(١٧)، واستنقذها من الضلال بتبصرته(١٨)، ولتشهده على اعتقادها، والله شاهد على الجميع. شهادة النرجس:

شـــهد النـــرجس والله يـــرى صـــحة النيـــات منهـــا والمـــرضْ
أن للـــــورد عليـــــه بيعـــــةً أكـــدت عقـــداً فمـــا إن تنـــتقضْ

شهادة البنفسج:

شـــــهد البنفســـــج أنـــــه للـــــورد عبـــــد تملـــــك
يســـــعى بقلـــــب ناصـــــح في حبـــــه مســـــتهلكِ

شهادة البهار:

شـــهد البهـــار ذو الجلالـــة عـــالم بصـــحيح مـــا يبـــدي ومـــا يخفيـــهِ
أن الإمـــارة في الأزاهـــر كلـــها للـــورد لا يـــؤتى لـــه بشـــبيهِ

شهادة الخيري النمام:

شـــهادة الخـــيري بـــراً صـــادقاً قولـــه أبعـــد عنهـــا الـــدركْ
أن أزهـــار الثـــرى أجمعهـــا أعبـــد والـــورد فيهـــا ملـــكْ

هذا يا سيدي ما انتهى في المعنى إلي، ففضلك في تصفحه، والتجاوز عما وقع من زلل في نقله، فأنت السابق الذي نجري في غباره، ونهتدي بمناره، ولولا علمي بموقع هذه الملح منك لم أجشمك (١٩)مؤونة النظر فيما كتبت منها لك إن شاء الله))(٢٠)

القوة التأثيرية للشعرية في هذا النص استمدها ابن برد من النباتات البيئية الأندلسية الجميلة وتتمثل في (الورد،النرجس ، البنفسج ، الخيري ، البهار) حيث مزج بين المتناقضات في مكان واحد (الشتوي ، الصيفي) ، (الربيع ، القيظ) فضلاً عن تسخيره للمناخ ، والتضاريس الصالحة لإنبات الأنماطِ المتقدمة منها (٢١)، والمتأمل لمفردات الرسالة يجد نسقاً فنياً آخرَ يتمثل في أن الكاتب قد ألبس هذه النباتات لباساً انسانياً

فجعلها (تتكلم ، وتتفق ، وتشهد ، وتختار) أي منحها صفات البشر وقد أطلق الدارسون على هذه السمة ب (ألسنة الطبيعة) (٢٢)، وهي ظاهرة فنية جديدة اختارها أدباء الأندلس في ظلال البيئة المترفة المفتوحة التي زخرت بشتى العناصر البهيجة الخلابة ، ولاشك أن الغرض الذي كتبت من أجله الرسالة وهو الاعتذار ، واستعطاف الحاكم له بالغ الأثر في الاختيار المناسب ، وقد أشار ابن الأثير إلى ذلكَ بقولهِ ((الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام البعاد وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك))(٢٣) فقد أعطى الكاتب للورد مزيةَ الأمرة ، والرئاسة على أقرانهِ مشيراً بذلك الى ابن جهور بينما نجده قد منح النباتات الأربعة المتبقية صفة السمع ،والطاعة ، والإذعان ، فقد مثلت الشعب الذي قرر اختيار ابن جهور لهذه المهمة في شتى الأوقات ، والمناسبات .

ثم رسالة لأبي عمر الباجي (٢٤) ت (٤٧٤) هـ الى المقتدر بن هود(٢٥) على لسان البهار جاء فيها ((أطال الله بقاء المقتدر بالله، مولاي وسيدي، ومعلي حالي ومقيم أودي(٢٦)، وأعذني من خيبة العناء وعصمني معه من إخفاق الرجاء، ولا اشمت بي عدواً من الرياض يناصبني، وحاسداً من النواوير (٢٧) يراقبني، وقد علم الورد موقع إمارتي، وغنى بلطيف إيمائي عن عبارتي، وإنها تحية الزهر حياك بها، وخبيئة ذخرها لك وأهلك لها، وقد أتيت في أواني، وحضرت وغاب أقراني، ولم أخل من خدمتك رتبتي ومكاني، ولم أعر من الحضور بين يديك نوبتي وزماني، وأنا عبد مطيع مسخر، ومملوك يتصرف مدبر، حقيق بأن يحسن إلي فأدنى، وجدير بأن تهتبل بي ولا أجفى، لأني سابق حلبة النوار، وأول طلائع الأزهار، وأنا ناظر الفضل وعينه، ونضار الروض ولجينه (٢٨)، وقائد الظرف وفارسه وعاقد مجلس الأنس وحارسه.)) (٢٩)

يتضح من هذا الكتاب استعمال الأسلوب المباشر في الخطاب ؛ لأنّ الأسلوب لايمكن تجريدهُ من النصِ ، ولا من المؤلفِ ، ولا من المتلقي(٣٠)،وذلك بوساطة استعمال الكاتب للألفاظ التي دلت على ذلك وهي:(أطال الله ، ومعلي حالي ،مقيم أودي ،أعذني ،عصمني ، ولا اشمت بي))(٣١) فهي دعائية صرفة دلت على أن

المخاطب ذو شأن رفيع ، وهو الأمير ، وقد استمدت الرسالة شعريتها من الجمل الدعائية المكتظة منذ البدء ، وقد وشحها الباجي بعناصر الطبيعة الساحرة ليضفي عليها ألقاً متميزاً ، وتتمثل هذه الألفاظ في (النواوير ، الرياض ، الورد ، الأزهار) إلا أن شعرية رسالة ابن برد كانت أسمى فناً ، وأعلى شأناً من هذه الرسالة وذلك لان الأول مالَ إلى الإيحاء ، ولم يستعمل التقديم منذ البداية في حين جاء أبو عمر بالتصريحات في مقدمة كتابه ،فضلا عن استعماله الإلحاق الضميري في كثير من فقراتها ، والتوسل وهذا هو الذي يجعل الأول يتقدم على الثاني فنياً ، وذلك لقدرة ابن برد على التخييل ، ومن ثمَ الابتكار في حين يعدُ الباجي مقلداً ؛ لأنه اكتفى بالوقوف عند عتبة التخييل الذي وصفه الجرجاني بقوله ((والتخييل، بَعْدُ، شأنه في عِظم شجرته إذا تُؤمِّلَ نَسبُه، وعُرِفت شعوبُه وشُعَبُهُ، لا يكاد تجيءُ فيه قسمة تستوعبه، ولا تفصيل يستغرقه)) (٣٢)

ومن النوع ذاته رسالة لأبي الوليد ابن العثماني (٣٣) يقول فيها ((بعثت بخيري(٣٤) جاز حد التبكير(٣٥) بأنسه، فحاز قصب السبق في أبناء جنسه، منظره أربى على المسك بنضرته، ومخبره قصر عن شيمك على بسطته، فأقبله بحق المجد عليك، ووسائل الحمد إليك، بهجاً منظره، أرجاً مخبره، إذا دنا الظلام ونام الأنام إلا من استدعى عرفه (٣٦)، واستجدى عرفه.))(٣٧)

لقد استمد أبو الوليد شعرية هذه الرسالة من زهور الخيري التي رسم لها صورة مفضلةً على بنات جنسها تناسقت من خلال المزايا التي تحملها فهي التي تفاخر أنماط النبات في المنظر ، والهيأة ، والنضارة ، والرائحة الفواحة التي تحملها ، فكانت هذه الخصائص باعثاً في تحقق شعرية النص ، والمنعم النظر في أجزاء الكتاب يرى أن أبا الوليد اعتمد على نبات منفرد بينما النماذج آنفة الذكر في المبحث قد تناولت أكثر من نبات وقد يكون سبب ذلك كما يراه البحث مرجعه الى البيئة التي يعيش فيها الكاتب ، وقد تنبهَ الى هذه القضيةِ ابن سلام في خضم حديثه عن عدي بقوله :- ((وعدي بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن الريف، فلان لسانه وسهل منطقه، فحمل عليه شيء كثير، وتخليصه شديد واضطرب فيه خلف الأحمر، وخلط فيه المفضل فأكثر.)) (٣٨)فضلاً عن مناسبة الرسالة ، وغرضها ، فالأسلوب هو نتاج فني ينجز من قبل مجموعة عناصر أولية هي :- (الفرد ، المقام ، المتلقي ، النص) ، وهي قائمة على أساس التوازن ،

والاعتدال بين الداخل ، والخارج ، وبنية العمل الأدبي لايمكن عزلها عن الملابسات الخارجية مثل التاريخ ، المجتمع ، المتلقي ، والمؤلف نفسه ، ويعد هذا مخالف لما توصلت إليه بعض المناهج الشكلية كالبنيوية (٣٩) وهذا هو الذي حتم على الأخير هذا الأسلوب .

المبحث الثاني

الطبيعة الصائتة (Sound nature)

وقد اعتمد هذا الصنف من الطبيعة على مجموعة من عناصرَ البيئةِ الأندلسيةِ المتحركة سواءَ أكانت بريةً أم لم تكن مثل الحيوانات(٤٠) ومن هذا النوع رسالة ابن عبد البر(٤١)ت (٤٦٣)هـ يصف غزالاً ((ووصل معه الغزال الأهيف (٤٢)، وكأن عينيه عينا وسنان(٤٣) مالت به نشوة الراح(٤٤)، وثنى عطفه هزة الارتياح، كأنما كحلا سحرا، وأشربا خمرا، ينظر بهما نظر المريب، ويعرض إعراض الحبيب، بجيد أتلع(٤٥)، ومنظر أروع، وكأن قرنيه قلمان(٤٦)، وكأن أذنيه جلمان (٤٧)، ينصبهما إذا أوجس ، ويثنيهما إذا أنس، وكأنما كسي أيطلاه (٤٨)حلة الشفق، وطرزت بسواد الغسق، يتوحش في الإنس، ويأنس في الكنس (٤٩)، عدوانه رياح، ومثواه قراح (٥٠)، تخاله سهما إذا انصاع، ومعشوقا أشعر برقيب فارتاع، يزداد جماله إذا نفر، وتروق محاسنه إذا ذعر:

كـــاد يحكـــي غزالـــة الإنـــس لـــولا رقـــة في الشـــوى(٥١) وقـــرن عـــلاه

أنـــا أهـــواه لا لشـــيء ولكـــن كلفـــاً بـــالفتى الـــذي أهـــداه))(٥٢)

اجتمعت في النص المتقدم عوامل عدة جعلته مؤهلا للارتقاء إلى سلم الشعرية ، والتي استسقاها القرطبي من الطبيعة منها النعت الحسن المفرط الذي عمد فيه الكاتب الى المبالغةِ ، والتهويل الذي هيمن على مفاصل الرسالة ، وقد ورد متزامناً مع وصف أجزاء الغزال ، وتحديد الحركات ، والسكنات التي يقوم بها ، فضلاً عن اختيار الكاتب لعناصر بيئته المتمثلة ب(السنان ،القلم ، الجلمان ، الشفق ، الغسق ، الرياح ، السهم)(٥٣) ، وهذا ما أماط اللثام عنه السكاكي في قولهِ :- ((لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة التشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية

ومقام الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار جميع ذلك معلوم لكل لبيب وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي)) (٥٤) فكلها أسهمت في نضوج شعرية الكتاب ، ومن النمط ذاته رسالة الأعلم الشمنتري(٥٥) ت (٤٧٦)هـ، يصف فرسا له قائلا ((انظر إليه سليم الأديم (٥٦)كريم القديم (٥٧)كأنما نشأ بين الغبراء واليحموم(٥٨) نجم إذا بدا ووهم إذا عدا يستقبل بغزال ويستدبر برال(٥٩) ويتحلى بشيات(٦٠) تقسيمات الجمال))(٦١)، فقد اعتمد على صفات إنسانية أسندها إلى هذا الحيوان منها (السليم ،القديم)، وانتقل بعدها لإسناد صفات لاتخص الفرس بل تتعداه فهي صفات للطيور كالتحليق في الأجواء بقوله (بين الغبراء ، واليحموم) متعدياً إلى سرعته الخارقة بقوله :(نجم إذا بدا ووهم إذا عدا(٦٢)

ثم عرج الكاتب على الوصف فاستعار له صفة السرعة من الغزال ، وسمة طول الساقين من فرخ النعام فجمعَ بين الحيوانين في مكانٍ واحدٍ ، وزمانٍ واحدٍ ، ويتمثلُ ذلكَ في قوله (يستقبل بغزال ، ويستدبر برال) ، فقد تعددت عناصر الشعرية بسبب اختلاف الحيوانات الصائتة التي ادخلها الشمنتري في الكتاب ،علاوةً على التداخل الحاصل في إظهار صفات الحيوانات الصائتة ، ومن الرسائل الأخرى في هذا المجال رسالة لابن الحناط ت (٤٣٧)هج (٦٣)يصف فيها الصيد بجوارح الصيد وضواريه قائلا ((صف الظباء وصيدها: فلما توسطنا وهدأت الربا، عنّت لها أسراب الظبا، كأنّما ألبسن الدمقس(٦٤)سربالاً(٦٥)، واتخذن السندس(٦٦)سروالاً:

من كل مخطفة الحشا وحشية يحمي مداريها (٦٧)ذمار جلودها

فكأنّما أقلام مسك كُتِّبت بمداد عينيها رسوم خدودها

فأرسلنا أولى الخيل على آخرها، وخلينا إياها، فمضت مضي السهام، وهوت هوي السلام، وهي تجول في أجوالها يميناً وشمالاً، فكأنّما أنتجت لآجالها آجالاً، فغادرناها بين جريح مضرج بدمائه، وقتيل يجود بذمائه.(٦٩)))(٧٠)

فقد رسم ابن الحناط صوراً متألقةً متدفقةً من طبيعة الاندلس المعطاء ، وتتمثل في قوله (عنّت لها أسراب الظبا) ، ثم ما برح ان ألبسها أزياءً لنساءِ أهل الجنةِ بقوله (كأنّما

ألبسن الدمقس سربالاً) ٧١و (واتخذن السندس سروالاً) (٧٢)بعدها انتقل إلى إشراك عناصرَ أخرى أضافية وهي الخيول التي تعد حيوانات صائتة ،وهي تتحرك في جميع الاتجاهات دلالة على نشاطها ، وحيويتها، وسرعتها الآنية ، وهي تطارد هذه الظباء ، وهذه اللوحة التي رسمها ابن الحناط لاتعدُ جديدةً على الأدب ؛ لأن الشعر الجاهلي رسم لنا في مقدمات قصيدتي المديح ، والرثاء صورةً للصراع الذي يدور بين شبيه الناقةِ (ثور الوحش) أو حمار الوحش (الأتان) ، وكلاب الصيد(٧٣)، ويختتم الشاعر قصيدةَ المديح بانتصار الثور(٧٤)، في حين تكون الغلبة لكلاب الصيد في قصيدة الرثاء(٧٥) إلا أن مظهر الحداثةِ يتجلى في نقل الكاتب الموضوعِ ذاتهِ من المنظوم إلى المنثور ، والفارق الآخر بين القصيدةِ ، والرسالةِ :- هو الاختلاف البيئي فالأولى تنبع من الفيافي القفار، في حين يكون مكان الثانيةِ (الحقول ، الغابات، البساتين ، الروابي الخضراء)

ثم يرسم ابن الحناط صورةً إضافيةً لنتيجة المعركة أن خلفت الجريح المضرج ، والقتيل الذي ينازع في الرمق الأخير من حياته ، فضلاً عن وصفه لحيوان الوحش في البيت الشعري ، وما يمتلكه من قوة ، وصلابة في الصورة الخارجية ، علاوةً على التشبيه في البيت الثاني ، وقد انتزع من أفراد هذه البيئة.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث الذي تنقل بين أرجاء الطبيعة الأندلسية الخلابة تارةً ، وشعرية الرسائل تارةً أخرى ، فقد توصّل الباحثان الى النتائج الآتية :

١- اعتمد الكتاب الأندلسيون في شعرية رسائلهم على الطبيعة الأندلسية ، التي رفدتهم بمختلف مزايا الابداع الفني ٠

٢- شكلت الطبيعة الأندلسية الصامتة الجزء الأول من هذا الإبداع ، وتمثلت في النبات بصورة عامة ، والأزهار ، والرياحين بصفة أخص من ذلك ٠

٣- شكلت الطبيعة الأندلسية الصائتة الجزء الثاني من المصادر ، وتتمثل في الحيوانات على اختلاف أنواعها (الأليفة ، والوحشية) ٠

٤- اختصّ الكتاب الأندلسيون بتصنيف تلك الأزهار ، والورود ، فمنها الصيفي ، ومنها الشتوي ، فضلاً عن الربيعي ، والخريفي ، ويبدو ذلك في رسالة ابن برد٠

٥- أدخلَ الكتاب الأندلسيون الأشعار في رسائلهم الكتابية ، فزاوجوا بينَ الشعرِ ، والنثرِ، وقد استعملوا أسماء هذهِ النباتات ، والحيوانات في هذهِ الرسائل ، وهذا ما لاحظهُ الباحثان لدى ابن برد ، وابن عبد البر ، وابن الحناط ٠

٦- استعمل الكتاب الأندلسيون هذهِ الأزهار كرموز طبيعية لكي تدل على زعماء الدول التي احتضنتهم ، ويعد هذا الصنف الأقرب الى غرض المديح ، ويبدو ذلك في رسالتي ابن برد الأصغر ، وأبي الوليد الحميري ٠

٧- انقسم أسلوب الرسائل في هذا العصر على قسمين أحدهما مباشر ، والآخر غير مباشر

٨- ينماز بعض كتاب الرسائل باستعمال الأسلوب المباشر في رسائلهم النثرية ، ويتمثل ذلك في رسالة أبي الوليد الحميري ، بينما نرى أن ابن برد قد استعمل أسلوباً غير مباشرٍ ٠

٩- أخذ بعض الكتاب شعرية رسائلهم من لوحات الشعر في العصر الجاهلي ، والمتمثل في الصراع الناشئ بين حمار الوحش ، وكلاب الصيد ، بالرغم من الاختلاف الكبير بين البيئتين ، والمسافة الزمنية البعيدة بينهما إلا أنّ أثر ذلك الشعر تمظهر في رسائل عصر الطوائف ، وقد اتضحَ ذلك للباحثينِ في رسالة الكاتب ابن الحناط التي وصف فيها الصيد بالجوارح ٠

هوامش البحث

١) لسان العرب (طبع) : ٨/ ٢٣٢

٢)العين : ٣٨٢/٤

٣) ظ : تاريخ النقد الأدبي عند العرب : إحسان عباس ، ٥٩٠ ٠

٤) ديوان امرئ القيس: تحقيق: حسن السندوبي، ١٥٢ ٠

٥) تاريخ الأدب الأندلسيّ: (عصر الطوائف، والمرابطين) ، احسان عباس، ١٢

٦) ظ:- إعتاب الكتاب، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار (ت:٦٥٨هـ)،(٤١ ، ٤٥، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٦٠)

٧)ظ :- تاريخ الأدب الأندلسيّ: (عصر الطوائف، والمرابطين) ، ٢٧٤ .

٨) ظ :- الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير :- خليل ابو جهجهة ، ٢١٧ ٠

٩) ظ: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) :(٩٨، ١٠١) .

١٠) ظ :- دفاتر أندلسية في الشعر ، والنثر ،والنقد ، والحضارة ، تأليف : د- يوسف عبد: ٧٩٨ ، ظ : النبات ودلالته الموضوعية والفنية في الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام رسالة ماجستير: إياد سالم الجنابي،١٢

١١) الصورة الفنية في المفضليّات: زيد بن محمد بن غانم الجهني ، ١/ ٢٠٤، الصورة الفنية في شعر بشار بن برد: د. عبد الفتاح صالح نافع ، ١٠٧ .

١٢) الوَسْمِيِّ :- مطر أول الربيع وهو بعد الخريف لأنه يَسِمُ الأَرض بالنبات ، لسان العرب : وسم ، ٦٣٥/١٢ .

١٣) القَيْظُ صَمِيمُ الصيْف وهو حاقُّ الصيف وهو من طلوع النجم إلى طلوع سهيل، م.ن : قيظ ، ٧/ ٤٥٦ .

١٤) يقول العرب في كلامهم :- أتلع رأسَه إذا أَطلَع وتَلَع الرأسُ نفْسُه ، م.ن : تلع ، والربْو والربوة والرَّباوة واحد، وهو العلوّ من الأرض ، جمهرة اللغة، لابن دريد، ١/ ١٤٨ .

١٥) وهي السهول التي اندفع إليها الماء فاستقر فيها فهو قرارةٌ والجمع قرارٌ وقرارات ،وهي من مكارم الأرض ، ظ :- غريب الحديث ، ابن قتيبة :- ٢٦٣/١ .

١٦) والانتزاء : البروز ، والظهور ، م.ن : نزا ، ١/ ١٦٤ .

١٧) أخذه من قوله تعالى :- ((وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ)) ،
(الأعراف :- ٤٣)

١٨) يشير إلى قوله تعالى ((وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا)) ، ((آل عمران :١٠٣))

١٩) جَشِمَ الأَمْرَ، كسَمِعَ، جَشْماً وجَشَامَةً تَكَلَّفَه على مَشَقَّةٍ، كتَجَشَّمَه ، القاموس المحيط :- ٣/ ٢٠٢

٢٠) البديع في وصف الربيع : إسماعيل بن عامر (أبو الوليد الحميري) ، (٥٥- ٥٦)

٢١) ظ: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف ، والمرابطين) ، ١٩٦

٢٢)ظ :- (م .ن) ، ١٩٧ ، شعرية النثر الأندلسي ، د- أيمن ميدان ، (٢- ٨).

٢٣) المثل السائر في أدب الكاتب ، والشاعر : ابن الأثير ١٦٨/١ .

٢٤) وهو إمام عصره، وفقيه زمانه، جمع الحديث والرأي، والبيت الحسن، والهدى والفضل،ظ:- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي ، ٤٧/١ .

٢٥) أحمد بن سليمان بن هود (المقتدر) ، أمير سرقسطة ، واسترد بربشتر من النصارى عام ٤٥٧هـ ، ت (٤٧٥) هـ ، ظ: المغرب / ابن سعيد المغربي : ٢/ ٤٣٦ ، نفح الطيب / المقري التلمساني : ٤٤١/١

٢٦) الأَوَدُ :-العِوَج ، النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، ١/ ١٨٨ .

٢٧) (النوار) الزهر واحدته نوارة (ج) نواوير ، ظ :- المعجم الوسيط ، ٨٤٧/٢
٢٨) اللجين :- هو الفضة ، وذلك لأنها ما دامت في تراب معدنِها فهي ملتصقة (في التراب) ،ظ :- المخصص ، ٣٢٨/١
٢٩) البديع في وصف الربيع: ٥٩-٦٠
٣٠) الأسلوبية :- الاتصال ، والتأثير / موسى ربابعة ، مجلة علامات ، الجزء :- ٢٧ ، مجلد :- ٧ ، ذو القعدة – ١٤١٨ ، آذار- ١٩٩٨ م ، ٢٨.
٣١) م.ن :- (٥٩-٦٠.)
٣٢) أسرار البلاغة :- ٣١٢ .
٣٣) أبو الوليد ابن العثماني :وهو أحد الكتاب ، والشعراء عينه المعتضد بن عباد صاحب الشرطة بأشبيلية ، ظ: البديع في وصف الربيع ، ١١٣ ٠
٣٤) (الخيري) : نبات له زهر و غلب على أصفره لأنه الذي يستخرج دهنه و يدخل في الأدوية ، ظ : المعجم الوسيط ، ١/ ٥٥١ ٠
٣٥) بكر المسافر وأبكر وبكر وابتكر وتبكر: خرج في البكرة ، والتبكير ، على زنة تفعيل دلالة على الكثرة ، ظ / أساس البلاغة : ١/ ٣٠٠ ٠
٣٦) العُرف :- الحدود ، والصفات ، وواحدتها :- عُرفةٌ ، المحيط في اللغة ، ١/ ٩١
٣٧) البديع في وصف الربيع : ١١٣- ١١٤ .
٣٨) طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي ، ١/ ١٤٠
٣٩) ظ :- أثر المتلقي في التشكيل الأسلوبي في البلاغة العربية ، أ.د :- وليد إبراهيم القصاب ، ٦٥١ .
٤٠) ظ: الصورة الفنية في المفضليات ، ٦١٨/١ .
٤١) هو الإمام حافظ الأندلس فخر المالكية شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله النمري الأندلسي القرطبي المالكي صاحب التآليف العديمة النظر في الإسلام، ولد سنة ٣٦٨ ومات سنة ٤٦٣، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، ٢/ ٨٤٢
٤٢) الأهيف :- الضامر الأعضاء ، والرشيق الجوانب ، ظ :- الكنز اللغوي في اللسن العربي :- ابن السكيت الاهوازي ، ٩٦ .
٤٣) وردت في المصدر عينا ، وأرى أن الأصح عيناً ، وسنان ؛ لأن معنى النص سوف يضطرب في حالة بقائه على ماهو عليه .
٤٤) الراح :- النبيذ ، لسان العرب (ح ، م ، ر) ، ٤/ ٢٠٨.
٤٥) الأتلع :- طويل العنق ، ظ :- أساس البلاغة ، الزمخشري ، ٤٠/١ .

٤٦) شبه القرنين بالقلمين لأن وجه الشبه واحد ، وهو النهاية المدببة لكليهما ظ :- - الخصائص ، المؤلف : لأبي الفتح عثمان بن جني ، ٢/ ٤٣١ .

٤٧) جلمان :- حديدتان ، وقد شبه أذني الغزال بهما ؛ لقوتهما ، ومتانتهما ، ظ :- (م .ن) ، ٢٨/٣ .

٤٨) أيطلاه :- خاصرتاه ، ظ:- شرح الأشموني على ألفية بن مالك : الأشموني ، علي بن محمد ، ٢/ ٦٣ .

٤٩) الكنس :- السفر ، والاغتراب ، ظ:- القاموس المحيط ، ٤٢٤/١ .

٥٠) والقراح: الخالص من كل شئ الذي لا يخالطه شئ غيره. ومنه قيل: ماء قراح. والقراح من الارض ، - تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري، ١/ ٤٥٤ .

٥١) الشَّوَى :- جماعةُ الأطراف ، ظ:- المخصص ، ابن سيدة ، ٣٤/١ .

٥٢) الذخيرة :- ٥/ ٢١٤ .

٥٣) م.ن :٢١٤/٥ .

٥٤) مفتاح العلوم :- للإمام أبي يعقوب السكاكي، ٩٥ .

٥٥) أبو الحجاج الأندلسي،المعروف بالأعلم: عالم بالأدب واللغة ،ولد في شنتمري الغرب،ورحل إلى قرطبة.وكف بصره في آخر عمره ومات في أشبيلية سنة (٤٧٦)هـ ،كان مشقوق الشفة العليا، فاشتهر بالأعلم ، ١٦٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،المؤلف : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، ٧/ ٨١ ، ظ :- الأعلام :- ٢٢٣/٨ .

٥٦) الأديم :- مادة يصنعُ منها نعل الفرس ، وسليم الأديم دلالةً على سلامة نعل ذلك الحيوان ، ظ :- لسان العرب ، (م د س) ، ٦/ ٢١٥ ٠

٥٧) يشير الى أصالة هذا الفرس فيشبههُ بالقديم ، وهذه الصفةُ أطلقها العرب على فَرَسي أُبَيٍّ بنِ خَلَفٍ و أبي ربيعةَ بنِ ذُهْلٍ ، ظ :- القاموس المحيط ، ٣٨٦/١ .

٥٨) واليحمومُ الدخانُ وقوله تعالى ((وظِلٍّ من يَحْمومٍ))عَنى به الدخان الأسود ، وهذه كنايةٌ عن الخفة ، والسرعة ، ظ :- لسان العرب :- (ح م م) ، ١٢/ ١٥٠.

٥٩) الرال :- فرخ النعام ، وهذه كنايةٌ أخرى عن طول الساقين ، ظ :- (م .ن) ، (ز ي ح) ، ٢/ ٤٧٠.

٦٠) شيات الخيل :- يشير الى لون الفرس وهي :- غبرة صافية تخالطها دهمة ، ظ :- جمهرة اللغة، ٣٠٧/١ ٠

٦١) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، للفتح بن خاقان الأشبيلي ، ١٦١/٢

٦٢) شبه الفرس تشبيهاً بليغاً مزدوجاً ، فالأول :- تشبيههُ بالنجم المرتفع الذي لايمكن رؤيته لصغر حجمه ، بسبب عاملي الخفة ، والانطلاق ،وهو تشبيه صورة بصورة ، والثاني تشبيه حسي بعقلي ، وذلك عندما شبه عدو الفرس بالوهم الذي ينتاب الإنسان في لحظةٍ معينة فيتلاشى فجأةً .

٦٣) (ابن الحناط) ❖ (- ٤٣٧ هـ) محمد بن سليمان الرعيني القرطبي، أبو عبد الله، ابن الحناط: طبيب شاعر ، كاتب ، ضرير، أندلسي. ،كان أبوه يبيع (الحنطة) ،فنسب إليها. ، ظ:- الوافي بالوفيات ، الصفدي :- ٣٤٨/١ ، الأعلام : ١٤٩/٦ .

٦٤) الدِّمَقْسُ من الكتَّان وقال : دمَقْسٌ و مَدَقْسٌ مقلوب . غيره : الدِّمَقْسُ الدِّيباج ويقال : هو الحرير ويقال الإِبْرَيْسَم ، لسان العرب : (دمقس) ، ٦/ ٨٨ ٠

٦٥) (سربل) السِّرْبالُ القَميص والدِّرْع وقيل كُلُّ ما لُبِسَ فهو سِرْبالٌ ، م.ن : (سربل) ، ٣٣٥/١١ ٠

٦٦) الدِّيباج : الصفيق الرقيق الحسَن قال وهو اسم أعجمي أَصله بالفارسية اسْتَقْر ونقل من الأعجمية إلى العربية كما سُمي الدِّيباجُ ، لسان العرب :- (استبرق) ، ١٠/ ٥ ٠

٦٧) مداري :- جمع لمدري ، وهو قرن الظبية ، وقيل :- مدارى على زنة فعالى ، ظ :- المعجم الوسيط ، ٥٨٧/١ .

٦٨) والذِّمارُ ذِمارُ الرجلُ وهو كل ما يلزمك حفظه وحياطته ، لسان العرب :- (ذ م ر) ، ٣١١/٤ ٠

٦٩) ذَمَاء ، أَيْ بَقِيَّة رُوح ، وَمَا بَقِيَ مِنْهُ إلا رَمَق ضَعِيف ، وَذَمَاء قَصِير ، ظ:- نجعة الرائد ، وشرعة الوارد ،١/ ١٨٧ .

٧٠) الخريدة :- ٥٦/٣ .

٧١) م.ن :- ٥٦/٣ .

٧٢) م.ن:- ٣/ ٥٦ .

٧٣) ظ :- صبح الأعشى في صناعة الإنشا :- القلقشندي ، ٥٩/٢ .

٧٤) ظ :- تأريخ النقد الأدبي عند العرب ، ٤٤١ .

٧٥) ظ :- (م . ن) ، ١٩٣ .